



الأربعون في قضية فلسطين

رؤية إسلامية

حقائق ونوايت ومعلومات أساسية

د. محسن محمد صالح

طبعة مزيدة ومنقحة
2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأربعون في قضية فلسطين رؤية إسلامية حقائق وثوابت ومعلومات أساسية

د. محسن محمد صالح

طبعة مزيّدة ومنقحة
تشرين الثاني / نوفمبر 2017



مؤسسة فلسطين للثقافة



مركز الزيتونة
للدراستات والاستشارات

Forty Facts on the Palestine Issue

An Islamic Perspective

Facts, Fundamentals and Basic Information

Author:

Dr. Mohsen Mohammad Saleh

جميع الحقوق محفوظة ©

2017م - 1439هـ

بيروت - لبنان

ISBN 978-9953-500-83-6

(الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات أو مؤسسة فلسطين للثقافة)

مؤسسة فلسطين للثقافة

بريد إلكتروني: thaqafa@thaqafa.org

الموقع: www.thaqafa.org

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

ص.ب: 14-5034، بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 80 36 44

تلفاكس: +961 1 80 36 43

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net

الموقع: www.alzaytouna.net

تصميم وإخراج

مروة غلابيني

مقدمة المؤلف¹

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

يسعى هذا الكتيب إلى تقديم قاعدة معلومات مكثفة مختصرة تصلح أن تكون منطلقاً للفهم الإسلامي للقضية الفلسطينية. وهو يجمع بين دفتيه مجموعة من المعلومات والحقائق والثوابت والمفاهيم، التي يرى المؤلف أنه لا غنى عنها عند التعامل مع القضية الفلسطينية. وهي لذلك أقرب إلى "المتن" الذي لا تصلح معه التفصيلات والهوامش. ومع ذلك فقد حرص المؤلف على الاستناد إلى المصادر العلمية الموثوقة في انتقاء المعلومات الواردة فيه. وإنَّ الإشارة في عنوان الكُتَيْبِ إلى "حقائق وثوابت..." لا تعني بالضرورة أنها حقائق مطلقة، فهو جهدٌ بشريٌّ قابل للخطأ والضعف والنقصان، والباب مفتوح لكل نصح وتوجيه.

وللعلم فإن هذا الكُتَيْبِ كان قد صدر سابقاً وانتشر تحت عنوان "الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية"، وكذلك "حقائق وثوابت في القضية الفلسطينية".

ونحمد الله سبحانه أن يسرَّ لهذا الكُتَيْبِ من يعتني بنشره، فطبعت منه مئات الآلاف من النسخ في مصر والإمارات والكويت ولبنان وماليزيا والأردن والعراق والمغرب وتركيا وباكستان وإيران... وغيرها، كما تُرجم ونشر بعدد من اللغات الأخرى.

نسأل الله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

¹ د. محسن محمد صالح: أستاذ مشارك في الدراسات الفلسطينية وتاريخ العرب الحديث، رئيس قسم التاريخ والحضارة في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا سابقاً، المدير العام لمركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ببيروت حالياً.

الأربعون في قضية فلسطين رؤية إسلامية

1. يطلق اسم "فلسطين" على القسم الجنوبي الغربي لبلاد الشام، وتقع فلسطين على ساحل البحر الأبيض المتوسط، غربي قارة آسيا، وتعدّ صلة الوصل بين آسيا وإفريقيا، كما تتميز بقربها من أوروبا. ويحدّها شمالاً لبنان، ومن الشمال الشرقي سوريا، ومن الشرق الأردن، ومن الجنوب والجنوب الغربي مصر. وتبلغ مساحة فلسطين في حدودها المتعارف عليها حالياً 27 ألف كم². وهي تتمتع بمناخ معتدل (مناخ البحر المتوسط).

2. أرض فلسطين من أقدم المناطق الحضارية في العالم، وحسب الاكتشافات الأثرية الحديثة فمن المرجح أنها أول أرض شهدت تحول الإنسان إلى حياة الاستقرار والزراعة قبل نحو 11 ألف سنة (9000 ق.م.)، وفي ربوعها أنشئت أقدم مدينة في التاريخ (مدينة أريحا) نحو 8000 سنة ق.م.، وما زالت معمورة زاخرة بالحضارات المختلفة إلى عصرنا هذا.

3. لأرض فلسطين مكانة عظيمة في قلب كل مسلم، فهي: أرض مقدسة ومباركة² بنص القرآن الكريم، وفيها المسجد الأقصى أول قبلة

² إن حدود القداسة والبركة لأرض فلسطين غير مرتبطة بالضرورة بالحدود الجغرافية المتعارف عليها حالياً، وهي حدود وضعها الاحتلال البريطاني في النصف الأول من عشرينيات القرن العشرين.

للمسلمين، وثاني مسجد بُني لله في الأرض، وثالث المساجد مكانةً في الإسلام. وهي أرض الإسراء، فإليها أُسري بمحمد صلى الله عليه وسلم، وهي أرض الأنبياء، فقد ولد في هذه الأرض وعاش عليها ودفن في ثراها الكثير من الأنبياء عليهم السلام الذين ذكروا في القرآن الكريم. وهي تعدّ في المنظور الإسلامي أرض المحشر والمنشر، وعقر دار الإسلام، والمقيم المحتسب فيها كالمجاهد في سبيل الله، ومركز الطائفة المنصورة الثابتة على الحق إلى يوم القيامة.

4. أرض فلسطين أرض مقدسة لدى اليهود والنصارى المسيحيين أيضاً: فيعدّها اليهود أرضهم الموعودة، ومحور تاريخهم، ومرقد أنبيائهم، وبها مركز مقدساتهم في القدس والخليل. ويعدّها المسيحيون مهد ديانتهم حيث ولد عيسى عليه السلام وقام بدعوته، وبها مراكزهم الدينية العظيمة في القدس وبيت لحم والناصرة.

5. يؤمن المسلمون أنهم الورثة الحقيقيون الجديرون بميراث داود وسليمان وأنبياء بني إسرائيل وصالحهم، ممن حكموا فلسطين رداً من الزمن تحت راية التوحيد، وأن شرعية حكمها تحولت إلى المسلمين لأنهم رافعو راية التوحيد من بعد هؤلاء الرسل، والسائرون على درب الأنبياء. ويعتقد المسلمون أن بني إسرائيل تنكبوا عن طريق الحق، وحرّفوا كتبهم، فلم تعد الأرض المقدسة حقاً لهم، بل للمسلمين الذين استمروا في حمل راية الحق والإيمان.

6. كان السلوك العام للمسلمين في أثناء حكمهم لفلسطين — وخاصة بيت المقدس — سلوكاً حضارياً جامعاً مبنياً على التسامح

والتعايش، والعدل والإحسان مع من يخالفهم دينياً، وكفالة حقوق اليهود والنصارى وغيرهم، وحمايتهم، ومنع ظلمهم أو الإساءة إليهم، بل والاستفادة من طاقاتهم وإمكاناتهم في بناء الحضارة الإسلامية. أمّا السلوك العام لغيرهم فقد كان سلوكاً مانعاً يرفض التعايش مع الديانات الأخرى، ويضطهد أتباعها ويسعى للتخلص منهم؛ كما فعل الرومان والصليبيون وغيرهم من قبل، وكما يفعل اليهود الصهاينة هذه الأيام.

7. إن أقدم شعب معروف سكن فلسطين، وطبعها بطابعه هم "الكنعانيون"، الذين قدموا من جزيرة العرب منذ نحو 4,500 عام، وعرفت أول الأمر باسم "أرض كنعان". وشعب فلسطين الحالي هم سلائل الكنعانيين ومن اختلط بهم بعد ذلك من شعوب شرقي البحر المتوسط الذين عرفوا تاريخياً بالـ "بلست" أو الفلسطينيين، والقبائل العربية. وبالرغم من أن فلسطين حكمها أقوام شتى بين فترة وأخرى، إلا أن أهلها ظلوا يعمرونها دونما انقطاع. وإن أهل فلسطين هؤلاء هم أنفسهم الذين أسلمت أغليبتهم الساحقة وتعربت لغتهم مع قدوم الإسلام، حيث تأكدت الهوية الإسلامية لأرض فلسطين لأطول فترة تاريخية متواصلة منذ الفتح الإسلامي لها سنة 15هـ/636م وحتى الآن، ولا عبرة بإخراج جزء من أهلها قهراً تحت الاحتلال الصهيوني منذ سنة 1948.

8. إن مزاعم الحق التاريخي لليهود في فلسطين تتهافت أمام حق العرب المسلمين في أرضهم، فأبناء فلسطين عمروا هذه الأرض

قبل نحو 1500 عام من إنشاء بني إسرائيل دولتهم (مملكة داود)، واستمروا في أثنائها، ثم بعد أن انقطعت صلة اليهود عملياً بها إلى الآن. لقد حكم بنو إسرائيل أجزاء من فلسطين (وليس كلها) نحو أربعة قرون (خصوصاً في الفترة 1000-586 ق.م)³ وزال حكمهم كما زال حكم غيرهم من الدول كالأشوريين والفرس والفراعنة والإغريق والرومان، بينما ظل شعب فلسطين راسخاً في أرضه. وكان الحكم الإسلامي هو الأطول حيث استمر نحو 1,200 عام (636-1917م) باستثناء الفترة الصليبية (90 عاماً). وقد انقطعت قدرة اليهود على التأثير عملياً في حركة الأحداث في فلسطين نحو 1,800 عام (منذ 135م - حتى القرن العشرين)، ولم يكن لهم تواجد سياسي أو حضاري وريادي فيها، بل وحرمت تعاليمهم الدينية العودة إليها. وإن أكثر من 80% من اليهود المعاصرين - حسب دراسات عدد من اليهود أنفسهم مثل الكاتب الشهير آرثر كوستلر - لا يمتون تاريخياً بأي صلة لفلسطين، كما لا يمتون قومياً لبني إسرائيل، فالأغلبية الساحقة لليهود اليوم تعود إلى يهود الخزر (الأشكناز) وهي قبائل كانت تقيم في شمالي القوقاز، وتهودت في القرن الثامن الميلادي. فإن كان ثمة "حق عودة" لهؤلاء اليهود، فهو ليس إلى فلسطين وإنما إلى جنوب روسيا!!

³ بعد وفاة سليمان عليه السلام سنة 923 ق.م. انقسمت مملكته إلى دولتين: إسرائيل في الشمال، التي سقطت سنة 722 ق.م. على يد الآشوريين، ودولة يهودا التي سقطت على يد البابليين سنة 586 ق.م.

ثم إن دعوى تعلق اليهود بفلسطين وارتباطهم بها لا تقف أمام حقيقة أن معظم بني إسرائيل رفض الانضمام إلى موسى عليه السلام في مسيرته للأرض المقدسة، كما رفض معظمهم العودة إليها من بابل بعد أن عرض عليهم الإمبراطور الفارسي قورش ذلك. وطوال التاريخ وحتى أيامنا هذه لم تكن أغلبية اليهود مقيمة في فلسطين.

9. تعود أسباب نشأة الحركة الصهيونية، التي سعت لإنشاء كيان يهودي في فلسطين، إلى ظهور النزعات الصهيونية —المؤيدة لتجميع اليهود في فلسطين— وسط مسيحيي أوروبا، وخصوصاً البروتستانت منذ القرن السادس عشر الميلادي. وتعود أيضاً إلى فشل حركة الاستنارة اليهودية ”الهسكلا“ التي سعت إلى دمج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها. كما تعود إلى ظهور الأيديولوجيات القومية والوطنية ونشوء الدولة القومية في أوروبا خصوصاً في القرن التاسع عشر ورغبة أعداد من اليهود في أن تكون لهم أرض يحكمونها، ويعيشوا فيها قوميتهم. وتعود من جهة أخرى إلى نشأة ”المشكلة اليهودية“ خصوصاً في أوروبا الشرقية، وما تعرض له اليهود من اضطهاد على يد الروس، والتي دفعت عدداً من اليهود للمطالبة بملاذ آمن لهم وبدولة خاصة باليهود، وقد استفاد اليهود في سبيل تحقيق ذلك من تمكن بعضهم من الوصول إلى دوائر النفوذ والقرار في أوروبا وأمريكا. ثم إن عدداً من بلدان أوروبا الغربية وأمريكا لم تكن ترغب باستيعاب موجات الهجرة

اليهودية القادمة من شرق أوروبا، وكانت تريد تحويل هذه الموجات إلى خارج بلدانها.

10. إن فكرة إنشاء الكيان اليهودي ليقوم بدور "الدولة الحاجزة"، وليكون قلعة متقدمة للاستعمار الغربي، وخصوصاً البريطاني، تُمثّل ذروة الخطر الاستعماري الغربي - الصهيوني في قلب العالم الإسلامي. إذ تهدف إلى شطر جناحي العالم الإسلامي (والعالم العربي أيضاً) في آسيا وإفريقيا إلى شطرين منفصلين. وهي بذلك تسعى إلى إضعافه ومنع وحدته، وإبقائه مفككاً عاجزاً عن النهضة، قابلاً في دائرة التبعية، منتجاً للمواد الأولية وسوقاً استهلاكيةً للمنتجات الغربية. كما تهدف إلى منع ظهور قوة إسلامية كبرى، تحل مكان الدولة العثمانية التي كانت في طور الانهيار. إن معادلة بقاء الكيان اليهودي الصهيوني واستقراره ونموه - في وسط معاد - مرتبطةً بضمان ضعف ما حوله من أقطار المسلمين وتفككها وتخلّفها. وكذلك فإن معادلة نهضة الأمة ووحدتها وقوتها مرتبطةً بالقضاء على المشروع الصهيوني الجاثم على قلبها.

11. تأسست المنظمة الصهيونية العالمية في بال بسويسرا في آب/أغسطس 1897 بقيادة ثيودور هرتزل، وربطت نفسها بالمشروع الاستعماري الغربي، وفشلت في الحصول على أي شيء ذي قيمة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. والحركة الصهيونية حركة عنصرية قائمة على ديابجات وخلفيات دينية وتراثية وقومية يهودية، وشرط نجاحها مرتبط بإلغاء حقوق أهل فلسطين العرب

في أرضهم والحدود مكانهم. ولا فرق في جوهر الفكرة الصهيونية بين تيارات علمانية أو اشتراكية أو دينية أو ثقافية أو سياسية، فالصهاينة كلهم في النهاية صهاينة توفيقيون يسعون إلى الأهداف العليا نفسها.

12. تبنت بريطانيا المشروع الصهيوني، فأصدرت في 2 تشرين الثاني/نوفمبر 1917 وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وتمكنت من إتمام احتلالها لفلسطين في أيلول/سبتمبر 1918، وتنكرت لوعودها للعرب بزعامة الشريف حسين بالحرية والاستقلال؛ كما تنكرت لوعود أخرى تلت وعد بلفور مثل "تأكيدات هوجارث" في كانون الثاني/يناير 1918، والتصريح البريطاني للسوريين السبعة في حزيران/يونيو 1918، والتصريح الإنجلو-فرنسي في 1918/11/7. وقسمت بريطانيا دوائر النفوذ في بلاد الشام والعراق بينها وبين فرنسا وفق اتفاقية سايكس-بيكو (أيار/مايو 1916) التي خططت لجعل فلسطين منطقة دولية. ثم إن بريطانيا استأثرت بفلسطين وفق اتفاقية سان ريمو (نيسان/أبريل 1920)، وتمكنت من إدماج وعد بلفور في صك انتدابها على فلسطين الذي أقرته لها عصبة الأمم في تموز/يوليو 1922.

13. فتحت بريطانيا خلال احتلالها لفلسطين 1918-1948 الأبواب للهجرة اليهودية، فتضاعف عدد اليهود 12 ضعفاً، من 55 ألفاً سنة 1918 إلى 646 ألفاً سنة 1948 (أي من 8% إلى 31.7% من السكان). كما دعمت تملك اليهود للأراضي فتزايدت ملكية اليهود

للأرض من نحو نصف مليون دونم (1.8% من الأرض) إلى نحو مليون و600 ألف دونم (6% من أرض فلسطين)، تسربت إلى اليهود في الغالب من الحكم البريطاني أو من أيدي إقطاعية غير فلسطينية. وتمكّن شعب فلسطين على الرغم من قسوة الظروف والمعاناة من الصمود في أرضه طيلة ثلاثين عاماً محتفظاً بأغلبية السكان (68.3%) وبمعظم الأرض (94%). وقد تمكن اليهود الصهاينة تحت حماية القوات البريطانية من بناء مؤسساتهم الاقتصادية والسياسية والتعليمية والعسكرية والاجتماعية، وفي سنة 1948 كانوا قد أسسوا 292 مستعمرة، وكونوا قوات عسكرية من منظمات الهاغاناه والأرغون وشتيرن، يزيد عددها عن سبعين ألف مقاتل، واستعدوا لإعلان دولتهم.

14. على الرغم من أن المؤامرة على فلسطين كانت أكبر بكثير من إمكانات الشعب الفلسطيني، إلا أن شعب فلسطين رفض الاحتلال البريطاني والمشروع الصهيوني، وطالب بالاستقلال. وقامت التيارات الوطنية والإسلامية بزعامة موسى كاظم والحاج أمين الحسيني ورفاقهم بالتعبئة الشعبية والتحركات السياسية والثورات العارمة، فكانت ثورات القدس 1920، ويافا 1921، والبراق 1929، وتشرين الأول/ أكتوبر 1933، وحركة الجهادية بقيادة الشيخ عز الدين القسام. وتحت ضغط الثورة الكبرى 1936-1939 اضطرت بريطانيا في كتابها الأبيض (أيار/ مايو 1939) أن تتعهد بقيام الدولة الفلسطينية خلال عشر سنوات، وبأن توقف بيع

الأرض لليهود إلا في حدود ضيقة، وبأن توقف الهجرة اليهودية بعد خمس سنوات. ولكنها تنكرت لالتزاماتها في تشرين الثاني/نوفمبر 1945 (تصريح بيفن)، وعادت الحياة للمشروع الصهيوني من جديد برعاية أمريكية.

15. في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1947 أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم 181 بتقسيم فلسطين إلى دولتين: عربية ويهودية (نحو 54% للدولة اليهودية، و45% للدولة العربية، و1% منطقة دولية (منطقة القدس). وقرارات الجمعية العامة ليست قرارات ملزمة حتى ضمن موثيق الأمم المتحدة نفسها. والقرار نفسه مخالف للأساس الذي قامت عليه الأمم المتحدة، وهو حق الشعوب في الحرية وتقرير مصيرها بنفسها. ثم إن الشعب الفلسطيني المعني أساساً بالأمر لم تتم استشارته ولا استفتاءه. فضلاً عن الظلم الفادح في إعطاء الأقلية اليهودية الصهيونية الدخيلة المهاجرة الجزء الأكبر والأفضل من الأرض.

16. أعلن الصهاينة دولتهم "إسرائيل" مساء 14 أيار/مايو 1948، وتمكنوا من هزيمة الجيوش العربية التي مثلت نموذجاً لسوء القيادة وضعف التنسيق وقلة الخبرة، والتي كان عددٌ منها ما يزال واقعاً تحت النفوذ الاستعماري، كما أن مجموعها عند دخول فلسطين كان نحو ثلث القوات الصهيونية (24 ألفاً). واستولى الصهاينة على نحو 77% من أرض فلسطين (20,770 كم²)، وشردوا بالقوة 800 ألف فلسطيني خارج المنطقة التي أقاموا عليها

كيانهم، وذلك من أصل 925 ألفاً كانوا يسكنون في هذه المنطقة (كان المجموع الكلي للفلسطينيين في نهاية سنة 1948 نحو مليون و400 ألف نسمة)، ودمّر الصهاينة 478 قرية فلسطينية من أصل 585 قرية كانت قائمة في المنطقة المحتلة، وارتكبوا 34 مجزرة على الأقل. أما بالنسبة لما تبقى من فلسطين فقد قام الأردن بضم الضفة الغربية رسمياً إليه (5,876 كم²) كما وضعت مصر قطاع غزة (363 كم²) تحت إدارتها. وقد وافقت الأمم المتحدة على دخول الكيان الصهيوني "إسرائيل" في عضويتها، شرط السماح بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم، وهو ما لم يفعله الكيان الصهيوني مطلقاً. والكيان الصهيوني هو كيان قائم على الظلم، وعلى أسس عنصرية ودينية، وهو كيان لم يحدد حدوده وليس له دستور مكتوب، وهو بذلك يخالف أبرز مواصفات الدولة الحضارية الحديثة.

17. ساد شعارا "قومية المعركة"، و"الوحدة طريق التحرير" الفترة 1948-1967، وتولت الأنظمة العربية بقيادة جمال عبد الناصر زمام المبادرة، بينما تراجع الدور القيادي الوطني الفلسطيني إفساحاً للمجال أمام الحلّ العربي الرسمي، غير أن الأنظمة العربية افتقدت المنهجية الصحيحة والجديّة والإرادة الحقيقية للقتال، وتبنّت المقاومة الفلسطينية لأسباب تكتيكية مرحلية، وليس ضمن خطة استراتيجية شاملة، وانشغلت بدغدغة عواطف الجماهير بدلاً من إعدادها للمعركة، بينما كان الكيان الصهيوني "الغضُّ" يشتد ويزداد قوة ورسوخاً.

18. أُنشئت منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف) سنة 1964 برئاسة أحمد الشقيري، وبدعم مباشر من جمال عبد الناصر الذي خشى أن يفلت زمام القضية من يديه، بعد أن بدأت الساحة الفلسطينية تموج بالحركات السرية والتنظيمات، وخصوصاً "فتح" التي ترجع جذورها إلى سنة 1957. وهدفت المنظمة إلى تحرير الأرض المحتلة سنة 1948، وشدّد ميثاقها على الكفاح المسلح طريقاً وحيداً للتحرير. وقد رحب عامة الفلسطينيين بإنشائها، باعتبارها تجسيدا للهوية الوطنية والكيانية الفلسطينية بعد تغييب طويل. وفي سنة 1968 انضمت المنظمات الفدائية الفلسطينية وعلى رأسها حركة فتح إلى المنظمة، وتولى ياسر عرفات زعيم فتح قيادتها منذ شباط/ فبراير 1969. وفي سنة 1974 أقرت الأنظمة العربية لمنظمة التحرير بأنها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، وتمّ تمثيلها في السنة نفسها بصفة عضو مراقب في الأمم المتحدة.

19. كانت حرب حزيران/ يونيو 1967 هزيمة مُرّةً للأنظمة العربية، ففي بضعة أيام احتل الكيان الصهيوني باقي فلسطين، فسقطت الضفة الغربية بما فيها شرقي القدس، وقطاع غزة، وتم تشريد 330 ألف فلسطيني. كما سقطت الجولان السورية (1,150 كم²) وسيناء المصرية (61,198 كم²).

20. واصل الكيان الصهيوني تهويد أرض فلسطين بشكل حثيث، وسعى لاجتثاث هويتها العربية والإسلامية ومعالمها الحضارية،

فقد صادر، أو وضع تحت تصرّفه، نحو 96% من الأرض التي احتلها سنة 1948 بما في ذلك أراضي وأملاك الفلسطينيين الذين قام بتشريدهم، ومعظم الأوقاف الإسلامية، والكثير من أراضي من بقي من العرب هناك؛ كما بنى الصهاينة مئات المدن والقرى الاستيطانية في الأرض المحتلة سنة 1948. ومنذ حرب 1967 صادر الصهاينة مساحات واسعة من الضفة الغربية، وقاموا بشكل منهجي حثيث بإجراءات تهويدها، فبنوا نحو 200 مستوطنة وأوجدوا أكثر من مئة بؤرة استيطانية أخرى، وأنشأوا الجدار العازل، ووضعوا مئات الحواجز التي تُقَطِّع أوصال الضفة، وسيطروا على معظم مصادر المياه، وحاصروا الضفة والقطاع وجعلوهما أشبه بسجنين كبيرين، وحولوا حياة الناس إلى جحيم. وبينما حرّم الكيان الصهيوني أبناء فلسطين من العودة إلى أرضهم، فتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فهاجر إليها نحو ثلاثة ملايين و204 آلاف يهودي خلال الفترة 1948-2016، ليلعب العدد الكلي لليهود نحو ستة ملايين و466 ألفاً مطلع سنة 2017.

21. ركز الصهاينة على تهويد مدينة القدس، فسيطروا على 86% منها، وملأوها بالمهاجرين اليهود (نحو 537 ألف يهودي مقابل نحو 333 ألف فلسطيني في شرق القدس وغربها في مطلع سنة 2017). وفي منطقة شرقي القدس (حيث المسجد الأقصى) أسكنوا نحو 220 ألف يهودي، وأحاطوها بسوار من المستوطنات اليهودية

يعزلها عن محيطها العربي الإسلامي. وأعلنوا أن القدس عاصمة أبدية للكيان الصهيوني. واهتم اليهود الصهاينة بالسيطرة على المسجد الأقصى، فصادروا الحائط الغربي للمسجد الأقصى (حائط البراق)، ودمروا حيّ المغاربة المجاور له، وصادروا أرضه. وقاموا بشكل حثيث بعمل الحفريات والأنفاق تحت المسجد الأقصى وفي محيطه، حتى أصبح مهدداً بالانهيار؛ فحتى سنة 2017 بلغ عددها 64 حفرية ونفقاً. وقام الصهاينة بعشرات الاعتداءات على المسجد الأقصى خصوصاً بعد اتفاق أوسلو 1993، وكان أشهر الاعتداءات إحراق المسجد الأقصى في 21 آب/ أغسطس 1969. كما تكررت بشكل واسع ومتزايد في السنوات الأخيرة عمليات اقتحامه والاعتداءات على حرمة ومحاولات تقسيمه زمانياً ومكانياً.

22. تمسك اللاجئون الفلسطينيون بحقهم في العودة إلى أرضهم، ورفضوا كل مشاريع توطينهم خارج أرضهم، والتي وصلت إلى أكثر من 240 مشروعاً، وعلى الرغم من أن الأمم المتحدة أصدرت قراراً بحق اللاجئين في العودة إلى بيوتهم وقراهم وأرضهم التي أخرجوا منها سنة 1948 (قرار رقم 194 في سنة 1948)، وأكدت هذا الحق دائماً في أكثر من 120 قراراً على مدى السنوات الماضية؛ إلا أن أيّاً منها لم ينفذ بسبب إصرار الكيان الصهيوني على رفضها، وعدم جدية الدول الكبرى والمجتمع الدولي في إجباره على ذلك مع العلم أن حقّ العودة هو حقّ طبيعي فردي وجماعي، تدعمه كافة الشرائع السماوية والقوانين والمواثيق الدولية.

ويبلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في الخارج في مطلع سنة 2017 نحو ستة ملايين و290 ألف لاجئ، ويعيش في الضفة الغربية وقطاع غزة نحو مليونين و48 ألف لاجئ هُجروا من الأرض المحتلة سنة 1948، بالإضافة إلى 150 ألف مُهجر فلسطيني يعيشون في المناطق المحتلة سنة 1948 بعيداً عن أرضهم وقراهم الأصلية، أي أن هناك نحو ثمانية ملايين و488 ألف فلسطيني يعانون من اللجوء والتهجير، وهو ما يمثل نحو 67% من الشعب الفلسطيني الذي يقدر مجموعه في مطلع سنة 2017 بنحو 12.7 مليون نسمة. وهذا يُعدّ أكبر عدد للاجئين بين شعوب العالم، وهي أيضاً أعلى نسبة للاجئين في العالم بالنسبة إلى عدد السكان وبفارق كبير عن أي شعب آخر. وتمثل قضية اللاجئين الفلسطينيين أقدم وأطول وأكبر مأساة إنسانية للاجئين منذ القرن العشرين وحتى الآن.

23. تعاملت الأمم المتحدة مع قضية فلسطين على أنها قضية لاجئين منذ 1949 وحتى بداية السبعينيات من القرن العشرين. ومنذ 1974 أخذت تصدر قرارات كثيرة بأغلبية ساحقة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بإعطاء الفلسطينيين حقّ تقرير المصير، وبشرعية الكفاح الفلسطيني (بما فيه الكفاح المسلح) لاسترداد الحقوق المغتصبة، وباعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال التفرقة العنصرية، وبحق اللاجئين غير القابل للتصرف في العودة إلى أرضهم. لكن الولايات المتحدة وحلفاءها كانوا على استعداد دائم لدعم الكيان الصهيوني في رفض هذه القرارات وتجاهلها

وإجهاضها، واستخدام حقّ النقض “الفيتو” لمنع التنفيذ العملي لأيّ منها. في الوقت نفسه، استخدمت القوى الغربية الكبرى نفوذها وصلاحتها في منظومة “الشرعية الدولية” بطريقة غير عادلة لإقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين وترسيخ وجودها، مما يكشف عن الخلل المتجذر في بُنية هذه المنظومة.

وطوال تاريخ القضية الفلسطينية ظلّت إحدى الإشكاليات الكبرى تتمثل في انحياز القوى العظمى الصارخ للمشروع الصهيوني، وخصوصاً في التسليم بما يسمّى “حقّه” في إنشاء دولته على الأرض التي اغتصبها سنة 1948، أي 77% من أرض فلسطين.

24. مثلت الفترة 1967-1970 فترةً ذهبيةً للعمل الفدائي والمقاومة الفلسطينية، غير أنها حُرمت منذ 1971 من استخدام الساحة الأردنية، وبالرغم من تركّزها بعد ذلك في الساحة اللبنانية إلا أنها عانت من محاولات الاستهداف والاجتثاث خلال الحرب الأهلية اللبنانية 1975-1990. وأسهم العدوان الصهيوني المستمر على لبنان، واجتياحه الجنوب اللبناني سنة 1978 وتشكيله لحزام أمني عميل، ثم اجتياحه جنوب لبنان ووسطه حتى بيروت سنة 1982، في ضرب البنية التحتية للمقاومة وإجبار منظمة التحرير ومقاتليها على الانسحاب من لبنان. وبذلك أغلقت كل الحدود العربية مع الكيان الصهيوني في وجه المقاومة الفلسطينية.

25. بشكل عام، عانت الثورة الفلسطينية بشدة من أشقائها العرب “الألداء”، واستنزفت طاقاتها ودمائها في صراعها مع الأنظمة

العربية التي حاولت ترويضها وضبطها، والتحدث باسمها والقفز فوقها. وبعد حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973 ضدّ الكيان الصهيوني، والتي حققت أساساً انتصارات معنوية لمصر وسوريا، وبعد أن عدّت منظمة التحرير ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني سنة 1974، أخذ يتضاءل الشعور العربي بالمسؤولية تجاه فلسطين. وبتوقيع مصر لاتفاقيات كامب ديفيد في أيلول/ سبتمبر 1978، خرجت أكبر قوة عربية من الصراع العربي - الصهيوني، ثم إن الحرب العراقية - الإيرانية التي أنهكت الطرفين طوال الفترة 1980-1988، وتراجع الدعم المالي الخليجي للثورة الفلسطينية بسبب انخفاض أسعار النفط، فضلاً عن الاجتياح العراقي للكويت سنة 1990، وما نتج عنه من حرب الخليج، ومن تمزّق عربي إسلامي واسع، بالإضافة إلى انهيار الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية، كل ذلك أدى إلى إضعاف المقاومة الفلسطينية وتوجه قيادة منظمة التحرير نحو التسوية السلمية، وبالتالي حصر نشاطها في دائرة "الممكن السياسي".

ومن جهة أخرى، أخذ يبرز نشاط التيار الإسلامي الشعبي في الداخل والخارج، منذ أواسط السبعينيات من القرن العشرين؛ وظهرت بوادر منظمات إسلامية جهادية مثل أسرة الجهاد وأخر السبعينيات في فلسطين المحتلة 1948، وحركة الجهاد الإسلامي سنة 1980، وتنظيم المجاهدون الفلسطينيون الذي أنشأه الشيخ أحمد ياسين في أوائل ثمانينيات القرن العشرين.

26. أعطت الانتفاضة المباركة (كانون أول/ ديسمبر 1987 - أيلول/ سبتمبر 1993) زمام المبادرة للداخل الفلسطيني، وبرز التيار الإسلامي بقوة ليشكل عنصراً أساسياً في المقاومة الفلسطينية، خصوصاً من خلال حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، التي أعلنت عن انطلاقها مع بدء الانتفاضة. وأحيت الانتفاضة التعاطف العربي والإسلامي والدولي واهتمامه بالقضية الفلسطينية، لكن الظروف السائدة وطبيعة العقليات القيادية الفلسطينية والعربية لم تسمح بتأجيحها وتوسيعها باتجاه التحرير، وإنما استخدمتها للاستثمار السياسي السريع باتجاه التسوية مع الكيان الصهيوني الغاصب.

27. مع تزايد ضعف منظمة التحرير الفلسطينية، أخذ التيار المؤيد للتسوية السلمية مع الكيان الصهيوني في الاتساع في أوساط المنظمة إلى أن جاء قرارها في منتصف تشرين الثاني/ نوفمبر 1988 بإعلان دولة فلسطين وبالإعتراف بقرار الأمم المتحدة 181 الداعي لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وقرار مجلس الأمن 242 الصادر في تشرين الثاني/ نوفمبر 1967 الذي يتعامل مع قضية فلسطين على أساس أنها قضية لاجئين، ويدعو لحل القضية بالطرق السلمية. وفي تشرين الأول/ أكتوبر 1991 دخلت منظمة التحرير والدول العربية في مفاوضات سلمية مباشرة مع الكيان الصهيوني في مدريد. وخلال نحو سنتين لم يستطع وفد المنظمة الرسمي التوصل إلى اتفاق مع الكيان الصهيوني. ولم تحدث أية

حالة انفراج إلا من خلال قناة مفاوضات سرية مختلفة كانت قد فتحت في كانون الأول/ ديسمبر 1992، وأدت إلى ما يعرف باتفاق أوسلو أو "غزة - أريحا أولاً"، الذي تم في أوسلو بالنرويج، والذي وقعت عليه رسمياً المنظمة (التي تقودها حركة فتح) مع الكيان الصهيوني في واشنطن في 13 أيلول/ سبتمبر 1993.

28. تعترف قيادة منظمة التحرير من خلال اتفاق غزة - أريحا بحق "إسرائيل" في الوجود، وبشرعية احتلالها وملكيته لـ 77% من أرض فلسطين، وتتعهد المنظمة بالتوقف عن المقاومة المسلحة والانتفاضة، كما تتعهد قيادة المنظمة بحذف وإلغاء كافة البنود الداعية لتحرير كل فلسطين وتدمير الكيان الصهيوني من ميثاقها الوطني، وتتعهد أيضاً بحل كافة المشاكل بالطرق السلمية. وبهذه الاتفاقية تشطب منظمة التحرير - عملياً - نفسها وأهدافها وميثاقها. وتحصل قيادة المنظمة، في مقابل ذلك، على اعتراف من "إسرائيل" بها باعتبارها ممثلة الشعب الفلسطيني، وتُعطى حكماً ذاتياً محدوداً في قطاع غزة وأجزاء من الضفة الغربية، على أن يتم حل القضايا الرئيسية الأخرى خلال خمس سنوات.

29. ووجه اتفاق أوسلو (غزة - أريحا) بشكل خاص ومشروع التسوية السلمية القائمة على التنازل عن الحقوق بمعارضة قوية فلسطينياً وعربياً وإسلامياً، وكانت أبرز نقاط الاعتراض:

أ. لقد أفنتى علماء المسلمين الموثوقون بعدم جواز التسوية السلمية مع الكيان الصهيوني، حسبما يريد الداعون إليها، وبضرورة

الجهاد المقدس لتحرير الأرض المغتصبة وإرجاعها كاملة إلى أصحابها الشرعيين. وباعتبار هذه المعركة بين حق وباطل تتوارثها الأجيال حتى يأذن الله بالنصر والتمكين، وبأن فلسطين أرض وقف إسلامي لا يملك أحد حق التنازل عنها، ولا يجوز لجيل إن انتابه حالة ضعف أن يحرم الأجيال القادمة من حقها. كما أن قضية فلسطين هي قضية كل المسلمين الذين يرفضون التنازل عن حقهم فيها مهما طال الزمن، وليست قضية الفلسطينيين وحدهم، فضلاً عن أن تكون قضية منظمة التحرير أو قيادتها.

ب. انفردت قيادة منظمة التحرير بإقرار اتفاق أوسلو دون الرجوع إلى الشعب الفلسطيني، حيث توجد معارضة قوية لهذا الاتفاق في أوساط الإسلاميين والوطنيين واليساريين على السواء، وحتى في أوساط حركة فتح نفسها.

ج. أجل هذا الاتفاق البتّ في أهم القضايا الرئيسية وأكثرها حساسية، وأصبح حسمها مرتبطاً بمدى "كرم" الطرف الصهيوني، الذي استغل قوته لفرض شروطه على الطرف الفلسطيني الأضعف، وأبرز هذه القضايا:

1. مستقبل مدينة القدس
2. مستقبل اللاجئين الفلسطينيين.
3. مستقبل المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية⁴.

⁴ انسحب الإسرائيليون من المستوطنات في قطاع غزة في خريف سنة 2005.

4. طبيعة الكيان الفلسطيني المستقبلي، وصلاحياته، وحدوده، ومدى سيادته على أرضه.

د. وافق هذا المشروع رغبة صهيونية هدفت إلى التخلص من عبء مناطق الكثافة السكانية الفلسطينية بما تحمله من مشاكل أمنية واقتصادية.

هـ. الحصيلة العملية للاتفاق إدارة حكم ذاتي، ذات صلاحيات تنفيذية محدودة، مرتبطة بالاحتلال وتحت هيمنته المباشرة، وللكيان الصهيوني حق النقض "الفيتو" على قراراتها وقوانينها التشريعية، كما حُرمت السلطة الفلسطينية من حق تشكيل جيش خاص بها، وهي لا تملك أن تدخل أية أسلحة إليها إلا بإذن الكيان الصهيوني.

و. أصبحت إدارة الحكم الذاتي (التي أطلق عليها السلطة الفلسطينية) مضطرة لقمع وسحق أي جهاد وعمليات مسلحة ضد الكيان الصهيوني، والقبض على مجاهدي المنظمات الفلسطينية لإثبات "حسن نواياها" وحرصها على "السلام"، وتشكلت لها أجهزة أمنية تحصي على الناس أنفاسهم، وتنسق مع سلطات الاحتلال، بينما كان أداؤها أكثر ضعفاً في الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

ز. ظلت الحدود تحت السيطرة "الإسرائيلية"، وظل دخول مناطق السلطة الفلسطينية أو الخروج منها مرتبطاً "بحق" الصهاينة في إعطاء الإذن بذلك أو منعه.

ح. لا تشير الاتفاقية إلى حق الفلسطينيين في تقرير المصير، وإنشاء دولتهم المستقلة، ولا تتحدث عن الضفة الغربية وقطاع غزة باعتبارها أراضٍ محتلة.

ط. فتح هذا الاتفاق الباب على مصراعيه للدول العربية والإسلامية لعقد اتفاقيات وبناء علاقات مع الكيان الصهيوني، وأعطى الفرصة للتغلغل الصهيوني في المنطقة وتحقيق الهيمنة الاقتصادية، وضرب القوى الإسلامية والوطنية في المنطقة.

30. أكدت انتفاضة الأقصى التي اندلعت في 29 أيلول/ سبتمبر 2000، تمسك الشعب الفلسطيني بحقه في أرضه، وأكدت تفاعل الشعوب العربية والإسلامية الواسع مع الانتفاضة، كما أكدت البعد الإسلامي للقضية، وكشفت شراسة الصهاينة والوجه القبيح لأدعياء السلام الصهيوني، كما وجهت لطمة كبيرة لمشروع التسوية الذي يجري على حساب حقوق الأمة وثوابتها. وعانى أبناء فلسطين من ظروف في غاية القسوة، وأعاد الصهاينة احتلال معظم أراضي السلطة الفلسطينية. لكن صمود الفلسطينيين الرائع ومقاومتهم البطولية، التي شاركت فيها كافة الفصائل الفلسطينية، أحدثت لأول مرة نوعاً من "توازن الرعب" مع الكيان الصهيوني، الذي تعرّض لضربات قاسية في كل مكان. وهزت الانتفاضة الدعامتين اللتين يقوم عليهما المشروع الصهيوني، وهما الأمن والاقتصاد. وقد اضطر الكيان الصهيوني إلى الانسحاب من قطاع غزة وتفكيك مستوطناته في تشرين الأول/ أكتوبر 2005 إثر

المقاومة البطولية لشعب فلسطين. وقد كانت وفاة ياسر عرفات في تشرين الثاني/ نوفمبر 2004 الذي قاد السلطة الفلسطينية منذ إنشائها، ودخول الفلسطينيين في أجواء الانتخابات الرئاسية والبلدية والتشريعية، وموافقة الفصائل في القاهرة على التهدئة (2005/3/17) أثره في انحسار موجة انتفاضة الأقصى.

31. كان فوز حماس في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني في 2006/1/25، مؤشراً على تزايد ثقة الفلسطينيين بالتيار الإسلامي وبخط المقاومة، وعلى تراجع مسار التسوية السلمية. وكانت محاولات الإسقاط والإفشال التي تعرضت لها حكومة إسماعيل هنية من "إسرائيل" ومن أطراف فلسطينية وعربية ودولية دليلاً على مدى خصومة هؤلاء للخط الإسلامي والمقاوم، وعلى ازدواجية المعايير حيث لا يتم احترام العملية الديمقراطية ونتائج الانتخابات إذا تعلق الأمر بالإسلاميين.

وقد تعرضت الحكومتان اللتان قادتهما حماس إلى حصار قاسٍ وفلتان أمني واعتداءات إسرائيلية شرسة، وتعطيل للمجلس التشريعي بأسر معظم ممثلي حماس في الضفة الغربية، أو بمنعه من الانعقاد. وجرت محاولات لتطويع حماس من خلال فرض شروط الرباعية الدولية التي تشترط الاعتراف بـ "إسرائيل" مقابل فكّ الحصار. واضطرت حماس للقيام بحسم عسكري في حزيران/ يونيو 2007 أدى لسيطرتها على القطاع، بينما قامت رئاسة السلطة وفتح بالسيطرة على الضفة الغربية، وبمتابعة الالتزام

بمشروع التسوية، وقمع تيارات المقاومة وخصوصاً حماس. وعانى الفلسطينيون من تعمق الانقسام الفلسطيني، وتدهور دور المؤسسات الممثلة للشعب الفلسطيني وخصوصاً منظمة التحرير ومجلسها الوطني، ومن تعطل المجلس التشريعي؛ كما عانوا من الضغط الخارجي، خصوصاً الإسرائيلي والأمريكي، في صناعة القرار الفلسطيني وتوجيهه.

وقد أدى الصمود البطولي للمقاومة وفشل العدوان الإسرائيلي الواسع على القطاع في ثلاثة حروب: في الفترة 2008/12/27-2009/1/18، وفي تشرين الثاني/نوفمبر 2012، وفي صيف 2014، إلى استمرار التفاف الجماهير حول تيار المقاومة، وإلى تعاطف عربي وإسلامي ودولي واسع مع الشعب الفلسطيني؛ كما أعطى دفعة باتجاه إعادة ترتيب البيت الفلسطيني.

وقد تم توقيع اتفاق المصالحة الفلسطينية في أيار/مايو 2011، غير أن هذا الاتفاق عانى وما زال يعاني من التعطل والتعثر، لأسباب وخلفيات مرتبطة بتحديد الثوابت الفلسطينية، وبتعارض مساري التسوية والمقاومة، وبأولويات العمل الوطني والبرنامج الوطني المرهلي، وبأزمة الثقة بين فتح وحماس، وبالتأثيرات والتدخلات الخارجية.

32. تعرض مسيحيو فلسطين إلى الظلم والقهر والتشريد نفسه الذي تعرض له مسلمو فلسطين. وشاركوا في الحركة الوطنية الفلسطينية منذ بدء الاحتلال البريطاني لفلسطين. وقدّموا نموذجاً

للتماسك والوحدة الوطنية في وجه المشروع الصهيوني، وشاركوا في الدفاع عن عروبة فلسطين بالكلمة والقلم والبندقية. وعبروا عن انتمائهم الحضاري للمنطقة بهويتها ولغتها وتراثها.

33. إن حبّ الوطن والدفاع عن أرضه وشعبه ومقدساته هو واجب شرعي وحق إنساني، وإن المشاعر الوطنية وحب القوم والعشيرة هو سلوك طبيعي ما دام لا يحرّم حلالاً ولا يُجِلّ حراماً، ولا ينتقص من حقوق الآخرين. وإن دوائر العمل لفلسطين سواء كانت وطنية أم عربية أم إسلامية أم إنسانية هي دوائر تركيز متكاملة متناغمة، ويجب ألا تكون متعارضة.

ومن جهة أخرى، فإن السعي لعلاج أمراض المجتمع وتحقيق التطور الحضاري والتمكين لشرع الله في الأرض، والسعي لتحقيق الوحدة العربية والإسلامية، وكذلك السعي لتحرير فلسطين، هي جهود متكاملة، يخدم بعضها بعضاً، ويمكن أن تسير جنباً إلى جنب دونما تعارض أو تضاد.

34. الإسلام دين السلام، فالله هو السلام، وتحية المسلمين فيما بينهم السلام، والجنة هي دار السلام. والعلاقة في الإسلام مع الآخرين قائمة على التسامح الديني والتعارف والتعايش السلمي والحوار بالتي هي أحسن. وبالتالي، فإن الإسلام هو ضدّ الظلم وضدّ "الإرهاب" الموجه للأبرياء، مهما كان مصدره أفراداً أم منظمات أم دولاً وأنظمة سياسية. والإسلام في الوقت نفسه هو

دين الحق والعدل والحرية، يأبى أتباعه أن يُظلموا كما يأبون أن يُظلموا، ويرفضون أن يُعطوا الدنيّة في دينهم، ويبدلون الغالي والنفيس دفاعاً عن كرامتهم وأرضهم ومقدساتهم. ولا يمكن لأيّ "سلام" في فلسطين أن يقوم بناء على ظلم أهلها واغتصاب حقوقهم وإخراجهم من أرضهم. وإن فرض شروط القاهر الغاصب على شعب مستضعف قد يوصل إلى "تسوية" مؤقتة، ولكنه لن يؤدي إلى السلام. وسيظلّ الجهاد لتحرير فلسطين واجباً وشرفاً وساماً على صدر كل شريف، ولا عبرة بالطغيان الإعلامي الصهيوني والغربي الذي يتلاعب بالألفاظ ومصطلحات "الإرهاب" و"السلام".

35. إن المسلمين لا يقاتلون اليهود لمجرد كونهم يهوداً. ففي ظلّ الإسلام، فإن أساس علاقة المسلمين بأهل الكتاب أو أهل الذمة هو العدل والإحسان وإعطاء كافة الحريات والحقوق الدينية وحقوق المواطنة الكاملة لهم. وإن "المشكلة اليهودية" والعداء للسامية نشأت في أوروبا وليس في العالم الإسلامي، الذي كان اليهود يلجأون إليه آمنين من الاضطهاد والتعصب الديني والقومي في أوروبا. إن أهل فلسطين والمسلمين يقاتلون اليهود الصهاينة المعتدين، الذين اغتصبوا أرض فلسطين، وشرّدوا شعبها، وانتهكوا مقدساتها، وسيقاتل المسلمون أيّ فئة أو جماعة تحاول احتلال أرضهم، مهما كان دينها أو قوميتها.

36. إن الإسلام ينبغي أن يكون هو القاعدة التي يستند إليها مشروع التحرير وتبوير المشروع الصهيوني، لأن الله سبحانه تكفل بنصر عباده الصادقين، ولأن الإسلام هو عقيدة الأمة، وبه خيرها وفلاحها، ولأنه الأقدر على تعبئة الجماهير وحشد طاقاتها، ولأن تجارب التاريخ (سواء في فتح القدس أو تحريرها من الفرنجة والتتار) أثبتت نجاح الحل الإسلامي، كما أثبت تاريخنا الحديث والمعاصر فشل الأيديولوجيات الأخرى. إن الحل الإسلامي ليس حلاً طائفيًا ولا عنصرياً ولا انعزالياً، وهو لا يعني ظملاً أو تهميشاً للأقليات، ولا يعني إكراهاً في الدين، بل هو مشروع حضاري يتسم بالانفتاح والمرونة، واستيعاب كافة الشرائح والقوى الساعية للإسهام في مشروع التحرير، والتي ستأخذ مواقعها وفق إخلاصها وكفاءتها.

وإن أبرز معالم الحل الإسلامي لقضية فلسطين تتمثل في:

أ. تبني الإسلام عقيدة وسلوكاً ومنهج حياة، والحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى.

ب. لا بدّ من قيادة مؤمنة كفوءة صادقة، تكون مؤهلة لمواجهة المشروع الصهيوني وهزيمته.

ج. توسيع دائرة الصراع مع العدو الصهيوني ليكون (بالإضافة إلى كونه مسؤولية كل فلسطيني وعربي) مسؤولية كل مسلم، بل وكل إنسان يدافع عن الحق والعدل والحرية، وعدم قصر

هذا الصراع على الدائرة الفلسطينية أو الدائرة القومية العربية. لأن تحرير فلسطين أصبح فرض عين على كل مسلم، ولأن الصهاينة ينفذون مشروعاتهم بشكل عالمي منظم، فلا بد من مواجهة مكافئة ترتقي إلى مستوى التحدي.

د. دعم شعب فلسطين ومساندته وتأهيله بكافة الوسائل، باعتبار أنه خط الدفاع الأول عن الأمة الإسلامية، حتى يثبت على أرضه، ويستمر في صموده وجهاده.

هـ. السعي لتحقيق نهضة حضارية تكون مدخلاً للتغيير والارتقاء الإيجابي الشامل في مجتمعاتنا المسلمة سياسياً واقتصادياً وعلمياً وعسكرياً، حتى يكون المسلمون قادرين ذاتياً على مواجهة تكاليف الجهاد وأعباء التحرير، وتحقيق شروط التمكين والاستخلاف في الأرض وريادة الإنسانية.

37. إن القضية الفلسطينية قضية ذات أبعاد إنسانية كبرى، إذ تمثل صرخة المظلوم في وجه أذعياء حقوق الإنسان، وتكشف المعايير المزدوجة وسوءات النظام الدولي الجديد، وتزري بالنفاق المقيت لحضارة غربية تزهو بالتقدم والمعرفة والتكنولوجيا وحقوق مواطنيها، بينما تتقبل أن يُشرد ملايين اللاجئين الفلسطينيين من أرضهم، وأن تحل جماعات يهودية صهيونية من أشتات الأرض وفق دعاوى بالية، لا تتوافق مع منطق التاريخ ولا قيم المدنية الحديثة ولا القوانين الدولية، مكان قوم عمروا الأرض منذ

4,500 عام، وأن تسفك الدماء في الأرض المقدسة، التي يجب أن تكون أرضاً للمحبة والسلام. إن الحركة الصهيونية واحتلالها لفلسطين هي النموذج المتبقي للاستعمار التقليدي الأوروبي الغربي الذي زال عن أرجاء العالم، ويجب أن يزول عاجلاً أم آجلاً عن فلسطين. إن مهمة تحرير فلسطين هي مهمة إنسانية وحضارية يجب أن تشارك فيها شعوب الأرض وأقطارها.

38. إن العلو الإسرائيلي اليهودي الصهيوني في الأرض حقيقة لا مرأى فيها⁵، وإن النفوذ اليهودي الصهيوني في دوائر القرار والتأثير العالمية واضح مشهود، سواء كان ذلك في السياسة أم في الإعلام أم في الاقتصاد، وخصوصاً في الولايات المتحدة. ونحن إذ نُقِرُّ ذلك، لا نذكره بدوافع عنصرية أو "عداءً للسامية" أو نشراً للبعث والكرهية؛ لأن التفوق الحضاري أمر محمود ومطلوب، شرط أن يستخدم في خدمة الإنسانية وتقدمها، وليس في نشر الظلم والفساد واغتصاب حقوق الآخرين. وإذا كان الله سبحانه قد قدر لهم سُبُل العلو والنفوذ، فإنه لا ينبغي أن يُضخَّ الأمر، كما لا ينبغي أن يُنظر إليهم وكأنهم وراء كل صغيرة أو كبيرة من الأحداث، أو

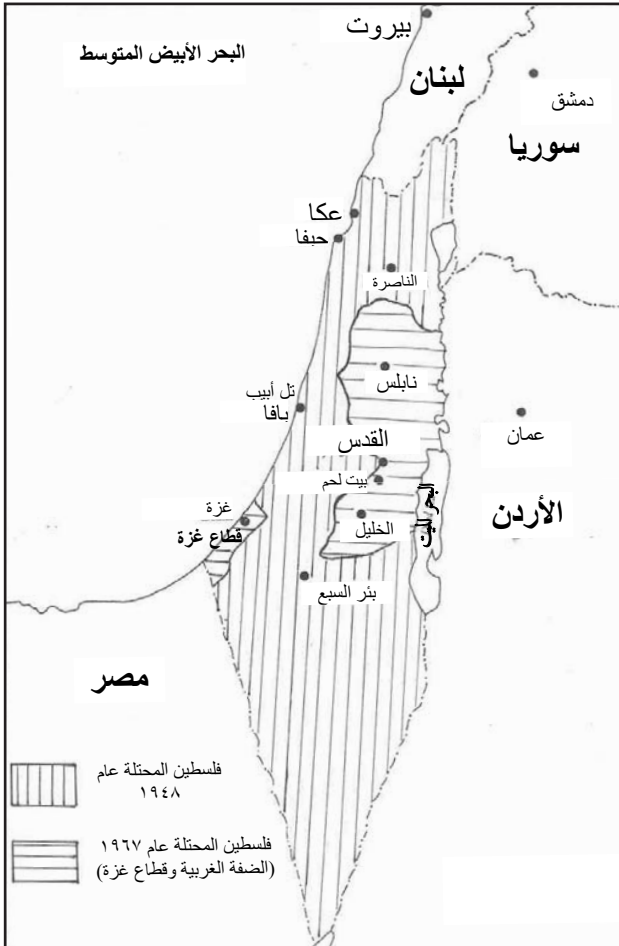
⁵ تحدث الله سبحانه في فواتح سورة الإسراء عن علو بني إسرائيل مرتين علواً كبيراً، ويظهر من عدد من المؤشرات والقرائن أن العلو الحالي هو العلو الأول، نظراً لقوته واتساعه وتأثيره. ثم إن علو بني إسرائيل على أيام داود وسليمان عليهما السلام كان علو إصلاح وليس علو إفساد، ولم يكن لهم بعد ذلك شأن يُذكر في حركة التاريخ وتوجيه الأحداث إقليمياً أو دولياً. وكان كاتب هذه السطور تحدث بذلك منذ سنة 2001؛ وهناك من العلماء والمهتمين من يميل إلى هذا الرأي كالشيخ عمر الأشقر وطارق سويدان، والله أعلم.

كأنهم قدر الله الغالب. فهم بشر خلقهم الله، وتجري عليهم سنن الله في الكون والتدافع وتداول الأيام. وإذا كانوا ينجحون، بقدر الله، بجدهم ومثابرتهم وحسن تنظيمهم، فقد وقعت لهم كوارث ومأس كثيرة في تاريخهم. وينبغي أن يُنظر إلى هذا العلو باعتباره حافزاً للمسلمين للاستجابة لمواجهة هذا التحدي، ولاستكمال شروط الاستخلاف في الأرض والنهضة الحضارية.

39. إن وجود الكيان الصهيوني في فلسطين، قلب العالم الإسلامي، وحشده لأسلحة الدمار الشامل بما فيها نحو 200 قنبلة نووية، والدعم الأمريكي والغربي غير المحدود له، سوف يظل الفتيل المشتعل الذي يهدد السلام العالمي بالانفجار، ويهدد بحرب عالمية ثالثة. فالمسلمون سيملكون يوماً ما أسباب القوة، وقد يملكون مثل غيرهم أسلحة الدمار الشامل، وهم لم ولن يتنازلوا عن أرضهم، ولن يقبلوا كياناً في قلبهم يضعفهم ويمزق وحدتهم، وسيسعون لاستعادة أرضهم، وإنهاء هذا الكيان العنصري الظالم. إن إصرار القوى الكبرى على دعم كيانٍ يسير عكس حركة التاريخ، لن يؤدي إلا إلى مزيد من الحروب والدمار والكوارث؛ التي لن تنعكس آثارها على سكان المنطقة فحسب، وإنما على الإنسانية جمعاء. وخير للعالم أن يستعيد أهل فلسطين أرضهم وحقوقهم، تحقيقاً للاستقرار والحق والعدل، والنهوض الحضاري والإنساني؛ وتجنباً لمزيد من المعاناة ونزيف الدماء.

40. إن هزيمة المشروع اليهودي الصهيوني في فلسطين واندحاره ليست أمراً ممكناً فقط، وإنما هي حقيقة أكيدة لأنها بشرى ربانية، جاءت في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولأنها بشرى نبوية، حدثنا عنها المعصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي لا ينطق عن الهوى. ثم لأن سنن الله سبحانه في الكون وتجارب التاريخ تخبرنا أن الظلم لا يدوم، وأنه على الباغي تدور الدوائر، وأنه لا يضيع حق وراءه مُطالب، وأن الأمة عندما تعود إلى ربها، وتحقق وحدتها، وتسترجع أسباب عزتها وقوتها، قادرة بإذن الله على تحقيق النصر والتحرير.

فلسطين المحتلة



Forty Facts on the Palestine Issue An Islamic Perspective

هذا الكتاب

ولأن هذا الكتيب... قد نجح في استخلاص الحقائق الأساسية لفضيحة فلسطين المركزية، وفي تقديم هذه الحقائق الأساسية في إطار الوعي السياسي والفكري والحضاري المتميز. فلفد غدت صفحاته بمثابة (المتن) الذي يجب أن تستظهره وتعبه وتفهمه ذاكرة كل عربي وكل مسلم، بل وكل إنسان شريف بنشد الحقيقة والعدل والإنصاف...

إن هذا الكتيب (الصغير، والنفس) الذي كتبه د.محسن محمد صالح هو (دفتراً أحوال) فضيحة المسلمين الأولى...
أ.د. محمد عمارة

ISBN 978-9953-500-83-6



9789953-500836

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب. 14-5034 بيروت - لبنان
للتفويض: +961 1 803 643 | لتفكاك: +961 1 803 644
www.alzaytouna.net | info@alzaytouna.net

